

الفصل الرابع

النبات الطبيعي في القارة الأفريقية

الحياة النباتية في القارة:

كانت أول محاولة لدراسة الحياة النباتية في أفريقيا تلك التي قام بها كل أن ماريوت وشانتز Marbut and Shantz سنة ١٩٢٣، فباستثناء مدغشقر قدراً من الغابات تشغل ٨١٪ من مساحة القارة والحشائش ٤٢٪ والصحراء ٣٩٪ وقسماً هذه الأنواع الثلاثة إلى أقسام أصغر وأنواع انتقالية. فالغابات مثلاً تباينت من الغابات الاستوائية إلى النفضية إلى الشجيرات الشوكية وهي في ذلك تعكس التناقص في كميات الأمطار، كذلك ذكراً بأن الحشائش تشغل مساحة كبيرة ليس بسبب الظروف الطبيعية فقط بل لأد الإنسان أسهم في إزالة الغطاء الغابي الأصلي بواسطة الحريق أو بحيوانات الرعي، أم الصحاري فتنقسم إلى حشائش وشجيرات شبه صحراوية وتشغل مساحة كبيرة من القارة، بينما الصحراء القاحلة تشغل ٨٪ من المساحة الكلية.

ومن الجدير بالذكر أن الغطاء النباتي الحالي في القارة ليس ثابتاً أو مستقراً في الزمان أو في المكان فخلال القرون الأخيرة تعرض المناخ للتغير البطيء منذ العصر المطير الأخير في الزمن الرابع وتناقصت كمية الأمطار في أفريقيا بدرجة ملحوظة. كما أن هناك تغيرات مناخية في فترات قصيرة حيث كان الإنسان في العصر الحجري الحديث قادراً على العيش في الصحراء الكبرى وسكني بعض مناطقها التي أصبحت قاحلة ومهجورة الآن، كذلك فإنه ينبغي القول بأن الحياة النباتية في معظم القارة خاصة فيما بين الغابات المدارية المطيرة والصحراء تتعرض لتغيرات جوهرية من فصل لآخر فحيث يحرق السكان الحشائش تبدو الأشجار عارية من الأوراق كما تبدو المناطق شبه الصحراوية قاحلة تماماً، ولكن الحشائش ما تلبث أن تنمو وتورق بمعدل كبير بعد سقوط الأمطار، ويبدو المظهر الطبيعي على هيئة نطاق واسع غني بحشائشه وأشجاره.

ويمكن تقسيم الحياة النباتية في أفريقية إلى الأنواع التالية (شكل رقم ٤ - ٧):

١- الغابات المدارية المطيرة:

وهي تلك الغابات التي تنمو في الأقاليم المناخية المطيرة وذات خصائص معروفة حيث تتكون الغابة المدارية من أشجار طويلة ودائمة الخضرة وبكثافة عالية من النباتات الصغيرة والمتسلقة وقد تبلغ الأشجار ارتفاعاً كبيراً قد يصل إلى ١٥٠ قدماً بل أن بعض الأنواع قد سجل رقماً قياسياً في الطول وصل إلى ٢٠٠ قدم.

وتحوي الغابات المدارية أنواعاً عديدة للغاية حتي أنه من الشائع أن الشجرة الواحدة تختلف عن الشجرة المجاورة في النوع ويحول تشابك أغصانها دون وصول أشعة الشمس إلى أرض الغابة، ولذا فإن النمو السطحي فيما بين الأشجار ليس كثيفاً إلا في البقاع التي أزيلت عنها أجزاء من الغابة أو على ضفاف الأنهار التي تخترقها.

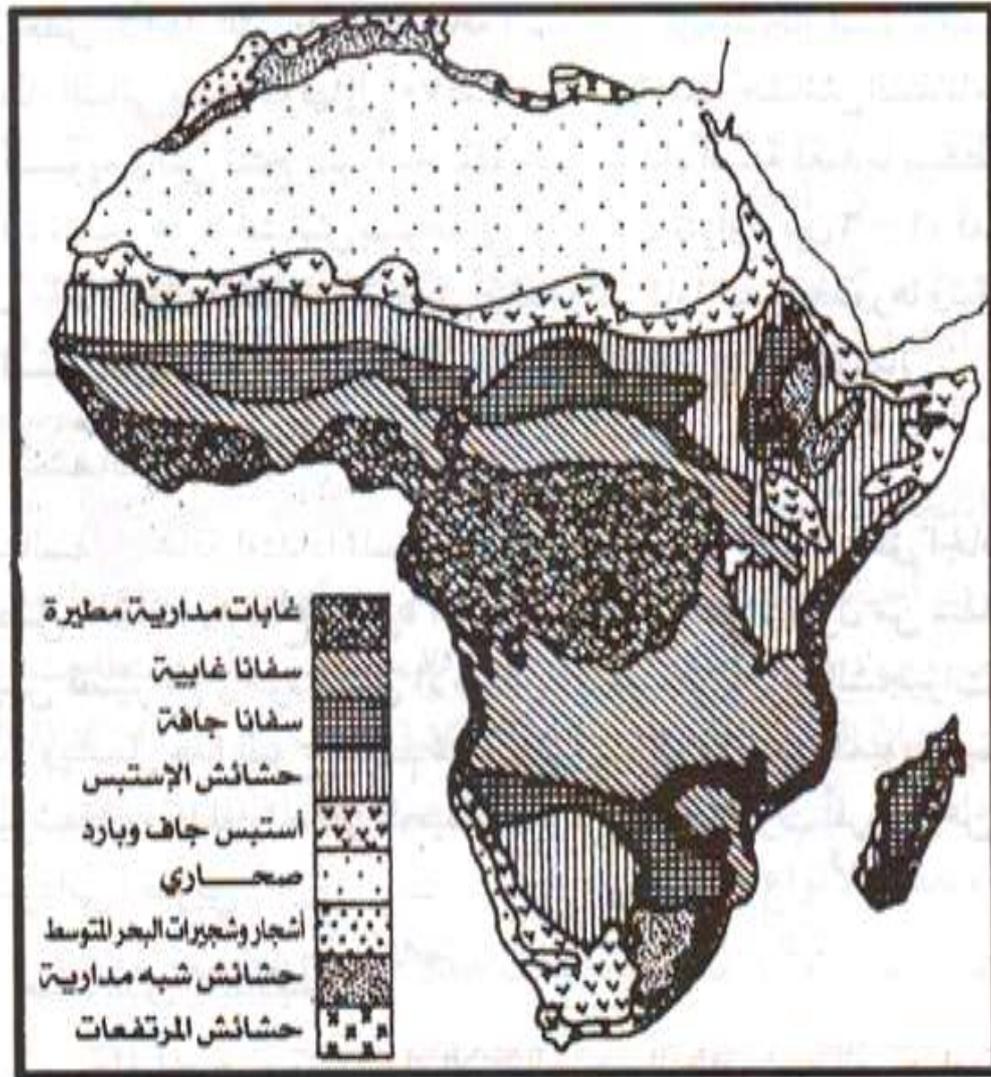
ونتيجة لاستمرار ارتفاع الحرارة وسقوط الأمطار فليست هناك تغيرات فصلية إلا في بعض المناطق التي يسود بها فصل جاف بوضوح ولذا فإن التزهير أو الإثمار يستمر على مدار السنة؛ ولقد عرف عن الغابات المدارية صعوبة اختراقها وذلك مرجعه التربة الصلصالية الزلقة وكثرة الأشجار والأغصان الساقطة التي تجعل اختراق الغابة أمراً مجهداً وبطيئاً، بالإضافة إلى كثافة الغطاء النباتي.

ويعد تحديد امتداد الغابات المدارية أمراً مثيراً للجدل فحتي على الخريطة المبينة فإن هناك مناطق تتخلل نطاق الغابات المطيرة تظهر بها حشائش السفانا الطويلة المختلطة في مناطق تربة اللاتريت كما توجد بعض البقاع التي أزيل غطائها النباتي وأصبحت مناطق مزروعة.

وعلي حواف الغابات المدارية شمالاً وجنوباً توجد مناطق انتقال تتميز باختلاط هذه الغابات بحشائش السفانا الطويلة وقد تأثرت هذه الحواف بالعامل البشري تأثراً كبيراً حيث يري بعض الكتاب أن حرق الغابات المطيرة قد أدي إلى ظهور السفانا الطويلة المختلطة وما زالت هذه الظاهرة مستمرة حيث تحرق كل عام مساحات كبيرة من السفانا ولا يبقى سوى الأشجار والشجيرات القادرة على مقاومة الحريق.

٢- السفانا الغابية:

تسود السفانا في الأقاليم المدارية التي تتعرض لفصل جفاف طويل في الشتاء وفصل ممطر في الصيف، وتزداد كثافة السفانا بالقرب من الغابات المطيرة. كما تبدو



شكل رقم (٤ - ٧)

الأقاليم النباتية في أفريقيا

مختلطة بالغابات وتقل كثافتها وطولها بالابتعاد شمالاً أو جنوباً نحو المدارين، ويحد طول فصل الجفاف في هذين الاتجاهين من نمو الأشجار في مناطق السافانا الجافة وشبه الجافة، ويتفاوت طول الفصل الجاف في السافانا الغابية من ثلاثة إلى سبعة شهور وتعرض الأشجار والشجيرات والسافانا للحريق من أجل إعداد الأرض للزراعة.

وكما سبق القول فإن الأشجار المتبقية في السافانا في الوقت الحاضر هي تلك التي قاومت الحريق إلى حد كبير، ولذلك فإن كثافة الغطاء النباتي تتوقف على الظروف الطبيعية الملائمة من ناحية ومدى تدخل الإنسان ومن ثم كثافة السكان من ناحية أخرى، ففي غرب أفريقيا تعرض الغطاء النباتي في كثير من المناطق للتغير أكثر من مرة نتيجة استمرار إزالته لممارسة الزراعة.

وفي بعض الأقطار التي تقل بها كثافة السكان - فإن أشجار السفانا تصبح سمة بارزة للغطاء النباتي يصل طولها إلى ٧٠ قدماً، وقد تلاءمت حشائش السفانا مع الدورة المناخية السنوية والتي تنتج صوراً مختلفة على امتداد السنة فعندما تسقط الأمطار بكمية وفيرة تنمو هذه الحشائش بسرعة إلى ارتفاعات تتراوح بين ٦ - ١٢ قدماً ولكن في فترات الجفاف فإنها تتعرض للحريق أو للجفاف تماماً حتى جذورها وتبقى هكذا في طور السبات Dormant Stage حتى سقوط الأمطار في الموسم التالي.

٣- السفانا الجافة:

تعد السفانا الجافة امتداداً للسفانا الغابية بالاقتراب نحو المناطق الجافة وذلك لتزايد فصل الجفاف وارتفاع حرارة الصيف، وهي بذلك تتحول من سفانا طويلة إلى استبس قصير مع وجود بعض الأشجار النفضية المبشرة والشجيرات المقاومة للجفاف. ويشمل هذا النوع معظم شمال الترنسفال ووادي اللحبوبو فيما يعرف بنطاق البوشفلد، وكذلك المناطق المحيطة بانجولا وجنوب غرب أفريقيا ومن السنغال حتى السوداني الجنوبي.

٤- حشائش الاستبس:

وهي مرحلة أخرى من مراحل الانتقال نحو النطاق شبه الصحراوية وتتميز الحشائش هنا بقصرها ووجود بعض الأشجار الشوكية مثل السنط وتسود في صحراء كلهاري من نهر أوكوفانجو Okovange نحو نهر الأورانج ومن الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى والأجزاء الجافة من كينيا وشرق إثيوبيا، وتلائم كل الأنواع النباتية ظروف الجفاف الطويل، وقد يصل طول الأشجار الشوكية إلى ١٠ أو ٢٠ قدماً، وتتميز الحشائش هنا بتبعثرها وتساعد على قيام الرعي البدوي المتنقل وأن كانت ظروف الرطوبة والبرودة النسبية في الأجزاء العليا من مرتفعات جنوب غرب أفريقيا تسهم في وجود مراعي أجود.

٥- حشائش الاستبس الجاف والكارو:

وتظهر حيث يصبح الغطاء متقطعاً مع ظهور مساحات قاحلة من الأرض، وعندئذ تسود بعض الشجيرات والحشائش القصيرة التي تزدهر لمدة عدة أسابيع فقط عقب سقوط الأمطار، ولا تنمو الأشجار أو الشجيرات إلا على امتداد المجاري المائية.

٦- الصحاري:

وتتبعثر النباتات بها تبعثراً شديداً حتي أن بها مساحات قاحلة لا تنمو بها نباتات على الاطلاق مثل المناطق الصخرية والكثبان المتحركة وقد تأقلمت الحياة النباتية بالصحراء على ظروف الجفاف ولذا فانها تتكون من أنواع تتميز بنموها السريع والتزهير والاثمار ثم السبات عند تبخر الرطوبة لتبقي البذور فقط حتي سقوط الأمطار في الفصل التالي ، كما ينمو النخيل وتقوم الزراعة في بعض الواحات الصحراوية .

٧- أشجار وشجيرات البحر المتوسط:

وتعرف أحياناً باسم (الماكي Maquis) وهي تتكون من أنواع دائمة الخضرة تأقلمت مع وجود فصل الجفاف المميز لمناخ البحر المتوسط واستطاعت أن تحمي نفسها من فقدان الرطوبة بالتبخر باللحاء الكثيف الشمعي وتزداد كثافة الأشجار حيث يزداد المطر في شمال غرب أفريقيا، وأهم أنواعها البلوط الفليني والصنوبر والزيتون وبعض الأنواع الأخرى .

وتسود أشجار الأرز على منحدرات جبال أطلس التل حتي ارتفاع ١٠٠٠ أو ١٣٠٠ متر حيث تكون الظروف أبرد نسبياً، وفي جنوب غرب مقاطعة الكاب تنمو أنواع مماثلة وأن كانت أقل طولاً، وفي الأجزاء المرتفعة من هذا النطاق توجد أشجار الأرز أيضاً حيث تقل الحرارة وتزداد الأمطار .

وقد تعرضت الحياة النباتية في اقليم البحر المتوسط إلى التغير والإزالة، وتعد الماعز أكثر الحيوانات تدميراً لهذه النباتات خاصة في مناطق التلال حيث تتعرض للتعرية بسهولة بعد إزالة الغطاء النباتي بها، كذلك فإن الإسراف في قطع الأشجار خاصة الفلين وبعض الأنواع الأخرى في شمال غرب القارة والأرز في جنوبها وكذا رعي قطعان كبيرة من الأغنام والماعز في نطاق الحشائش أدى إلى استنزاف وتغيير كبيرين في الحياة النباتية .

٨- الحشائش شبه المدارية والمعتدلة:

توجد منطقة من الحشائش الكثيفة على ارتفاع من حوالي ١٢٠٠ - ٣٠٠٠ متر في جنوب أفريقيا ممتدة لمئات من الأميال في الفلد الأعلى، وتختلف حسب المناخ المحلي

والترية ويتراوح ارتفاعها من ٢-٣ أقدام ولكنها لا تصل في كثافتها ووفرتها إلى ما تصل إليه حشائش السفانا. ولما كانت الأمطار في الصيف تتعرض لفقد كمية بالتبخر وارتفاع في درجات الحرارة (حود السبعينات) فإن المظهر الأرضي للفلد يتباين حسب هذه الظروف حتي أن الأرض لا تبدو خضراء تماماً إلا في فصل الربيع وقبل ارتفاع درجات الحرارة، ويحد الصقيع في الشتاء من نمو الأشجار في هذا النطاق وفي ليسوتو على ارتفاع ٣,٠٠٠ متراً فأكثر توجد الحشائش التي تشبه المراعي الألبية.

وعلي المرتفعات والهضاب الأثيوبية بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ متر تنمو أنواع متعددة من الحشائش وتوجد الأشجار بكثرة حتي ارتفاع ٣٠٠٠ متر في الأجزاء الرطبة ولكنها ما تلبث أن تختفي بسرعة في الارتفاعات الأعلى من ذلك نتيجة انخفاض درجات الحرارة.